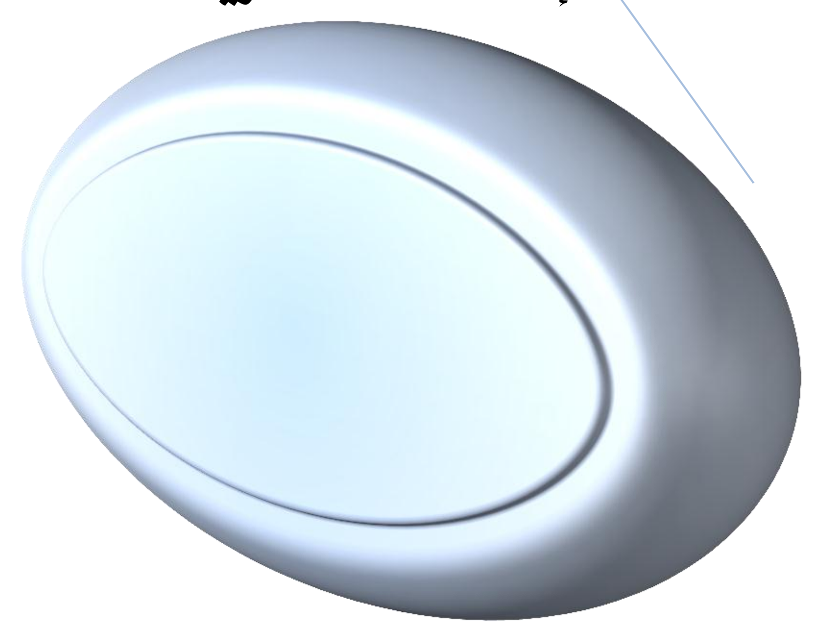


دراسات في الأديان

الفرقة الثانية ٢٠١٥/ ٢٠١٦

إعداد أ / محمد فريد سعد



المبحث الأول

تعريف الدين

أولاً : تعريف الدين فى الثقافة العربية الإسلامية :

أ- التعريف اللغوى : "الدال والياء والنون" أصل واحد يرجع اليه فروعه كلها .

≈ .. وكلمة الدين لها معان كثيرة ، يحددها السياق الذى ترد فيه .

≈ .. كما أن صيغة "**دان**" قد تأتى بمعنى ذلَ وخضعَ ، وتأتى بمعنى عزَ ، وتأتى بمعنى أطاع ، وتأتى بمعنى عصى ، ويقال "دان فلانا"

أى أقرضه ، وبمعنى استقرض منه .

≈ .. وقيل الدين وصف لجميع ما يعبد به الله عز وجل .

≈ .. وتستعمل كلمة الدين فى اللغة العربية فى معانى كثيرة مثل : الورع – الحساب – الجزاء .. إلخ .

≈ .. والديان من أسماء الله تعالى ، وديان تطلق على القاضى والحاكم المجازى بالخير والشر .

وتندرج هذه المعانى الكثيرة تحت ثلاثة معان" : (دكتور دراز)

١ – دانه : أى ملكه وحكمه وساسه وقهره وحاسبه وجازاه وكافأه .

٢ – دان له : أى أطاعه وخضع له .

٣ – دان بالشئ : أى اتخذه دينا ومذهبا وتعتقده واعتاده وتخلق به واعتنقه .

كلمة الدين التى تستعمل فى تاريخ الأديان لها معنيان :-

(**أ**) الحالة النفسية التى نسميها التدين .

(**ب**) تلك الحقيقة الخارجية التى تتمثل فى العادات الخارجية ... **ومعناها** .. جملة المبادئ التى يدين بها فرد أو أمة اعتقادا أو عملا .

ب – فى القرآن الكريم :

وردت أكثر من تسعين مرة ، وجاءت بمعان كثيرة تندرج أكثرها تحت معنيين :

أ – **معنى عام** :

وهو ما يتخذه صاحبه دينا يعتقده ويعتنقه و يخضع لأوامره وينزل على حكمه ، سواء كان هذا المعتقد حق أم باطل ، ولذلك وصف القرآن الكريم مايعتقده الكافرون بأنه دين .. { **لكم دينكم ولى دين** } .. {**يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم**}

{ **وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون** } .

ب – معنى خاص :

وهو الإسلام وشريعته ، وهو الذى رضيه الله للناس دينا .. { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا } .

ولذلك وصفه الله بأنه دين الحق الذى أرسل به رسوله محمدا "صلى الله عليه وسلم" .. {هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون } ، ووصفه بأنه دين القيمة ، ووصفه بأنه دين الله .. { أفغير دين الله يبغون .. }

وليس غريبا بعد ذلك أن يكون الدين بمعنى الجزاء ، لأن الله هو المالك ليوم الدين .

ج – المعنى الإصطلاحى :

أقدم التعريفات تعريف "مسكويه" بأن " الدين وضع إلهى يسوق الناس باختيارهم الى السعادة القصوى "

وهذا التعريف يلاحظ ثلاثة أمور :-

١ – مصدر الدين .. وهو الله سبحانه وتعالى ، وهذا مختص بأديان الوحى ذات المصدر الإلهى .

٢ – أن التدين قائم على مراعاة الحرية والاختيار فى المعتقد أو التدين بخلاف الأديان البدائية التى يعتنقها البعض خوفا من قسوة الطبيعة .

٣ – إن هذا الأديان المنسوبة إلى الوحى تتضمن فى تشريعاتها من الكمال والصلاح مايقود المؤمنين إلى السعادة القصوى فى الدنيا والآخرة .

<u>تعريف " محمد إقبال " للدين يفيض شاعرية وجمالا</u> ،

حيث يتساءل قائلا : ما الدين ؟ ثم يجيب : هو السمو عن وجه التراب ، لكى يطلع المرء على ما بين جوانحه من روح طاهرة من شأنها ألا تنغمس فى التراب .

وهذا التعريف لا يُعرّف الدين فى ذاته ، ولكنه يتحدث عما يمنحه الدين من شرف وكرامة .

تعريف د/ دراز :

الدين هو الاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية ، لها شعور واختيار ، ولها تصرف وتدبير للشئون التى تعنى الإنسان ، اعتقادا من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية فى رغبة ورهبة وفى خضوع وتمجيد .

وبعبارة موجزة .. هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة ، وهذا تعريف خاص بأديان الوحى ، لأن الطبيعة تخلو من عقيدة الألوهية وعقيدة النبوة بالمفهوم الدينى .

ثانياً :تعريفات الدين فى الفكر الغربى :

قبل الدخول فى تعريفات الدين فى الفكر الغربى ، يمكن الإشارة إلى عدة ملاحظات :

أ – إن مدلول كلمة الدين فى أوربا شهد عبر القرون تنوعا أدبيا نتيجة اختلاف الثقافة والعقائد والظروف الإجتماعية ، ولم يصل إلى شيء من الاستقرار إلا في عصر النهضة الأوروبية حين أصبح الدين له صفة العالمية لما يحويه من ورع وشعائر .

ب– فى القرن السابع عشرالميلادى أبرز الباحثون التعارض بين الدين السماوي والدين الطبيعى ، وأكدوا علو شأن الوحى ، والدين الذى يقر عبادة الكائن الأسمى ، والإيمان بخلود النفس ، والأمل فى الخلاص ، **<u>ورغم ذلك</u>** ظهر اتجاه مضاد يدعو إلى عبادة العقل والقضاء على المسيحية ، وتبنى هذا الإتجاه بعض رجال الثورة الفرنسية (١٧٩٧) م .

ج – إن مصطلح الدين مصطلح عام استعملته اللغات الأوروبية الحديثة للإشارة إلى :

١- الاعتقاد فى إله أو أكثر ، وربما الاعتقاد في إلهة أو إلهات .

٢- الاعتقاد في ذوات روحانية لا تدركها الخبرة البشرية .

٣- وجود كيانات أو مؤساسات تمثل هذه المفاهيم كالكنائس والمؤسسة الباباوية مثلا .

ويطلق الدين على كل ما يستجمع هذه العناصر الثلاث ، ومن ثم يطلق على المسيحية دين ، كما ينطبق ذلك على التعاليم الأخرى للبشرية كالإسلام والهندوسية والبوزية .

د – انه فى العالم الغربى لا يعتبر الدين جزء من الهوية العامة للأوروبيين ، لأنه قبل ذلك كانت الصدارة للكنيسة الكاثوليكية التى هيمنت على الحياة الإجتماعية والسياسية والعلمية وكل شئ تقريبا،وأدى ذلك الى ردود أفعال مضادة انتهت بالخروج على سلطان الكنيسة وأصبح الاهتمام بالدين بعد ذلك شأنا علميا مختصا بالعلماء الباحثين .

ه – إن كثيرا من التعريفات التى ظهرت لدى المنشغلين بالدين تكاد تحصر هذا الدين فى المسيحية ، وقليلا ما كانت تلاحظ أديانا أخرى إلا من زاوية علاقتها بالمسيحية .. كاليهودية مثلا ...

ومن أمثلة ذلك :

▫ **تعريف دوركايم** : الدين هو نظام من العقائد والأفعال المتعلقة بأمور مقدسة ، أى منفصلة عن عالم الناس ، ولكنه فى ذات الوقت عقائد
وممارسات توحّد جميع الذين ينتمون إليه فى جماعة أخلاقية تسمى "كنيسة ".

▫ **تعريف برتراندرسل** : جميع الأديان التاريخية العظيمة لها ثلاثة وجوه ..
١ـ الكنيسة . ٢ـ العقيدة ٣ـ نظام يحكم الأخلاق الشخصية

وتتفاوت درجة هيمنة هذه العناصر على بعضها البعض باختلاف الزمان والمكان، إلا أنه رغم ذلك تظل هذه العناصر ضرورية للدين كظاهرة إجتماعية .

هذان التعريفان أظهرا أن .. المسيحية كانت هى المعيار الذى يقاس به الأديان ، وربما كان لذلك علاقة بما يسمى " المركزية العقارية " التى تجعل أوروبا هى مركز الحضارة والعالم أطراف لها .

"**دوركيم**" يعترض على التعريف الذى يقول بأن الدين هو الإيمان بإله أو بآلهة ، معتمدا فى كلامه إلى أن البوذية وغيرها ينظر إليها على أنها أديان ، مع أن عنصر الألوهية لم يكن عنصرا أساسيا فيها ، وأنها تقوم على أساس أخلاقى بحت .

لكن يرد هنا الدكتور "**دراز**" بأن كل مذهب يخلو من وجود إله هو أحق بإسم الفلسفة الجافة ، لا أن يسمى دينا ، ولا ينبغي حذف مبدا الألوهية من تعريف الأديان .. وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف الألمانى "**شلاير**" .. حيث يرى أن قوام حقيقة الدين هو ذلك الشعور بالحاجة والتبعية المطلقة لقوة قاهرة .

••• أما التفسير الماركسى للدين فيَمثله "**إنجلز**" تلميذ "**ماركس**" .. فهو يرى أن الدين لا يعدو كونه فكرة غير دقيقة يطرحها ذهن الإنسان لفهم تلك القوى الخارجية التى تسيطر على حياته.

••• وهكذا تتعدد التعريفات وتتنوع وتتناقض ، وقد يصل بعضها إلى حد التوقف عن تعريف الدين ، والإكتفاء بدراسته من حيث النشأة لدى البشرية أو من حيث مظاهر التدين .



المبحث الثاني

«الدين بين الفطرية والاكتساب»

رغم أهمية الدين لدى سائر البشر فى القديم والحديث وفى سائر أطوار حياتهم ، اختلف الناس فى نظرتهم إلى فطرية الدين وأصالته فى النفس الإنسانية على رأيين كبيرين :

الرأى الأول : ان الدين فطرى فى النفس الإنسانية ، وأن الإنسان عندما ولد كان يحمل فى قلبه بذرة التدين والبزوغ إلى الإيمان بربٍ عظيم القدرة يؤمن به ويسكن إليه ولا يجد عند المحن والشدائد أحدا سواه .

الرأى الثانى : ان الدين فى أول النشأة لم يكن مغروسا فى النفوس ، وأن الإنسان ولد خاليا من أى إعتقاد ، ثم توصل إلى الدين وإلى الإيمان بإله واحد بعد أطوار ومراحل ما بين التجربة والخطأ ، والخوف والرجاء ، والنظر فى العالم ، إلى أن انتقل من الخلو من الإعتقاد إلى مرحلة الدين والإعتقاد .

فأما القائلون بالتدرج والتطور فاختلفوا اختلافاً كبيراً :

أ – بعضهم ذهب إلى أن أقدم دين فى الوجود هو الاعتقاد فى الأرواح التى تسرى فى الكائنات ... فكان الكائن البدائى يعتقد أنه يحيا حياة مزدوجة ، حياة فى اليقظة وحياة فى المنام ، وأن ما يراه فى نومه يعبَر عن حياة حقيقية ، وبالتالى فإن فى جسده عنصر غير محسوس وهذا العنصر هو النفس التى تتميز بالشفافية والقدرة على التأثير فى حياة الناس بالنفع أو بالضر ، **ولذلك ..** عبد البدائي هذه الأرواح اعتقادا أنه بذلك يصرف شرها عنه ، ونتج عن ذلك ظهور الدين فى داخله ، ثم بدأ ينتقل من طور إلى طور ، ثم إلى السحر وعبادة الأوثان ، ثم ارتقى الى الإيمان بتعدد الآلهة ، وانتهى أخيرا إلى التوحيد .

... وبالطبع تم انتقاد هذه التصورات التى لم تقم على أى معطى دقيق تم رصده بطريقة موضوعية .

ب ـ وذهب فريق آخر إلى أن الدين نشأ لدى الكائن البدائى من ظواهر الطبيعة الغامضة والقاسية التى تؤثر فى حياته تأثيرا مباشرا لا يستطيع مقاومته ، كالزلازل والبراكين ، مما يشعر الإنسان بضعفه وعجزه ، ولذلك لجأ إلى عبادة هذه الظواهر .

ج – بينما يرى "**أوجست كونت**" رائد مدرسة علم الإجتماع ، أن المراحل التى مر بها العقل الإنسانى تتمثل فى ثلاثة مراحل :

" حالة لاهوتية – حالة ميتافيزيقية – حالة واقعية علمية "

... فالإنسان كان يفسر كل شئ عن طريق الأساطير ثم انتقل مع تقدمه إلى الأيمان بوجود ألهة ثم جاء العلم فانتقل الإنسان من الإيمان بالغيبيات سواء كانت أساطير أم كانت آلهة إلى الإيمان بالمحسوس والواقعى الذى يمكن حصره وملاحظته واستنباط نظمه وقوانينه .

هذا الكلام يقوله القائلون بالتطور ، بل ويزداد الأمر ضراوة بمجئ نظرية "**داروين**" التى قلبت كل المفاهيم الراسخة فيما يتعلق بالأديان ، واستبدَ العلم بالأمر حتى وصل إلى أن بعض العلماء ظنوا أن العلم يغنى عن كل شئ .

د – ثم يأتى "**دوركايم**" ليضيف إلى الحديث عن الحالات الثلاث ضرورة العناية بالجانب الإجتماعى وما فيه من عقائد منظمة للمجتمع الذى يحدد ماهو مقدَس وما هو غير مقدَس ، فالمجتمع إذن هو مصدر الدين وواضع قواعده ، وليس **للأفراد** إلا أن يمتثلوا لأمر المجتمع فى شأن الدين .

القائلون بأصالة التدين فى النفس الإنسانية :

أ – "تايلور" : رفض القول الزائف بأن هناك بدائيين دون دين ، مستدلا بالإكتشافات المتأخرة التى تؤكد أن البدائى كان يعيش فى عالم من الصوفية والشعائر ، بحيث اصطبغت حتى أموره الدنيوية بصبغة الدين .

ب – أثبتت دراسات كثيرةأن عقيدة الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت لدى البشر ، لأنها وجدت عند جميع الأمم ، أ ما الوثنيات فهى طارئة عارضة .

وقد انتصر لهذا الرأى "لانج" الذى أثبت وجود عقيدة الإله الأعلى عند القبائل الهمجية فى استراليا وافريقيا وأمريكا ، كما وجدها "بروكلمان" عند الساميين قبل الإسلام.

ج – "**شميدت**" : صاحب كتاب منشأ فكر الله ، أثبت أن البدائيين يتمتعون بتفكير منطقى ، وأنهم قادرون على الإقرار بوجوج إله واحد .

د – "**شيشرون**": يرى أن كل البشر من جميع الجنسيات متفقون على أنه يوجد فى ضمائرهم اعتقاد فطرى بالنسبة لوجود الآلهة ولا يوجد شخص ينكر وجودها .

ه – "**بلوتارك**" :كتب على نحو أكثر بلاغة ، ومفاد كلامه أنه إذا سافر المرء إلى أى مكان فى العالم ، فقد لايرى كثيرا من الأشياء ولكنه لا يمكن أن يرى مدينة بغير معابد ولا آلهة يلجأ إليها المرء فى صلاته من أجل الحصول على البركات والخيرات ، أو يحتمى من اللعنات والنكبات .

و – "**جوستاف لوبون**" : يرى أن أهم المبادئ التى تسير عليها الأمم وتتأسس عليها الحضارات هى المبادئ الدينية ، فالدين هو العامل الوحيد الذى توجد به منافع الأمة وأفكارها .

الموقف الدينى من هذه الآراء :

الموقف الدينى يرتضى الرأى الذى يذهب إلى أصالة الدين فى النفس ، وأنه ليس طارئا عليها ، ***وما يدل على ذلك :***

قول الله تعالى "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها "

وقول النبى (صلى الله عليه وسلم) *"ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"*

وتستند هذه الفطرة الدينية إلى ما أودعه الله تعالى فى النفس الإنسانية من الإيمان به والتوحيد له ، ***حيث قال تعالى :***

"وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم عاى أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين"

وقد تغطى هذه الفطرة بحجبٍ من الشهوات أو المغريات ، كالمال أو الصحة أو الجاه أو السلطان ، ولكنها تتبدد كلها عندما يتعرض صاحبها لمحنة أو يصيبه بلاء ، وعندئذٍ تعود النفس إلى ما أودع فيها من الفطرة ، وتلجأ إلى الله ليكشف عنها الضر ، **قال تعال :** " **هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أ نجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين"**

وقد وقع هذا المشهد لفرعون الذى وصل به الأمر إلى حد إدعاء الألوهية ، ولكن حين أدركه الغرق **قال :**

" **آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** "

وهكذا تتضافر أدلة الشرع وأدلة العلم على أن الدين فطرة فى النفس الإنسانية ، رغم أنها قد تفسد وقد تخمد ، لكن لا تلبث أن ترجع إلى خالقها مرة أخرى .



المبحث الثالث
حاجة الإنسان إلى الدين الإلهي

أولاً : فى الجانب العلمى :

١ – العقيدة الصحيحة تمنح الإنسان تفسيرا لوجوده ولوجود الكون من حوله ، وهذا التفسير يتسم بالشمول للماضى والمستقبل ، ولظواهر الوجود وما وراءها من علل وأسباب ، ولا يقف الدين حجر عثرة فى فهم ظواهر الوجود ، ولكنه يوجه العقل غلى البحث عما وراءها وكشف قوانينها ، ليس هذا فحسب ، بل ويربطها بقدرة الخالق ، وهكذا .. فالتفسير الدينى للكون يتخطى الإدراك العلمى ويسمو عليه لأنه يوافق الفكرة العلمية و يحتويها ، بل ويتجاوزها إلى ما لا نهاية .

٢ – التفسير الدينى كذلك مؤهل للإجابة عن كثير من التساؤلات التى تطوف بالذهن عن العالم والإنسان ... من أين جاءا ؟ ومن الذى خلقهما؟ ومن الذى يحفظهما ويدبرهما ؟ ما الحياة ؟ ما الموت؟ ما المستقبل الذى ينتظرنا بعد هذه الحياة؟ وغير ذلك من الأسئلة التى فرضت نفسها على المفكرين والفلاسفة .. وجاءت إجاباتهم تحمل فى ثناياها ألوانا من قصور الفكر البشرى .

٣ – **العلم وحده لا يكفى :-**

[أ] لأن الإنسان فى نطاق العلم يعجز عن تصور بداية الوجود ، لأنه لم يشهدها ، قال الله تعالى " **ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم** " كما أنه أيضا يعجز عن تصور النهاية والمصير ، لذا كان اللجوء إلى الدين ضرورة ، لأن خالق هذا الوجود هو العليم به نشأة ومصيرا وبداية ونهاية ،

قال تعالى " **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** "

[ب] وعلى الرغم من ضخامة التطور العلمى الذى حققه الإنسان ، فإن هذا التطورلا يكفى وحده للإجابة على تساؤلات الإنسان الجوهرية التى أشرنا إليها منذ قليل ، لأن سعة الكون وضخامته وتنوع الخلائق فيه ، كل ذلك يجعل دائرة المجهول فى الوجود أعظم من دائرة المعلوم ...

قال تعالى " **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** " .

[ج] والعلم نفسه يتصف بالنسبية ، حيث يعد التطور سمة من سماته ، وفى هذا التطور يتم مراجعة العديد من النظريات السابقة التى قد تكون خاطئة ، فأين قوانين "**نيوتن**" االتى قلبتها قوانين "**أنيشتين**" فى النسبية ؟ وأين نظرية "بقاء الطاقة وعدم فناءها؟ وأين علم "الأجنة" ؟وأين "داروين" ؟ ألم يعد هناك يقين أو استقرار فى العلم ؟؟

[د] هذه التساؤلات الكثيرة كشفت عن مدى الحيرة التى وقع الإنسان فيها بسبب التطورات المتلاحقة ، خاصة أن العلم فى بعض الأحيان قد يشير إلى بعض المشكلات ثم لا يتصدى لتقديم حلول لها ، وكثير من المفكرين الأوروبيين رأى أن هذه الثورة العلمية التى تعيشها أوروبا ستجعل الإنسان حجرا عن الأخلاق التى هى وثيقة الصلة بالدين ، وعندئذ سيكون خطرا على نفسه وعلى البشرية ، ليس انطلاقا من كون العلم ضار فى حد ذاته ، فهذا المعنى غير وارد لأن الإنجازات العلمية الكثيرة تؤدى بالفعل إلى تيسير الحياة ومقاومة ما فيها من آلام ، وإنما المراد أن العلم محتاج فى حركته المندفعة إلى التقدم .. إلى ضوابط من القيم المعنوي والأخلاقية التى تضبط اتجاهه وتقوم مساره وتمنعه من أن يكون سبيلا للإيذاء ، وهتا يأتى دور الدين الذى لا يعلو عليه شئ فيما يقدمه من ضوابط ومعايير أخلاقية هادئة .

ثانياً :فى نطاق الفلسفة :

إذا كان العلم لا يستطيع – وحده – أن يمنح الإنسان ما يحتاجه من يقين وسكينة ومعرفة شاملة ، فإن الفلسفة ليست أفضل منح حالاذلك أن الفلسفة لا تصلح أن تكون بديلا عن الدين .. **لأن :**

١ – الفلسفة نفسها لا تخلو من تأثير الدين ، ويمكن القول أن الدين هو أصل كل تفكير فلسفى .

٢ – الفلسفة لا تستطيع أن تتخلص من آثار البيئة والظروف التى تحيط بأصحابها ، فهى إذا ليست شيئا واحدا أو صورة واحدة ، بل إنها

تختلف بحسب اختلاف ظروف نشأتها ، فهى فى الحاضر تختلف عنها قديما .

٣ – الفلسفة تقوم على النقد والتمحيص لكل معرفة سابقة ، حيث لا يوجد فيها مسلمات أو آراء تتصف بالقداسة ، وهذا يعنى كثرة الآراء واختلافها ، بل وتعارضها ، مما يدفع الإنسان إلى الحيرة والبحث عن بديل يجد فيه السكينة واليقين ، وهذا لا يوجد فى النظم البشرية التى تعكس ضعف البشر ، من أجل ذلك جعل الله التشريع من خصائص الألوهية ، لأنه يصدر عن علم شامل برئ من الهوى ..

قال تعالى "*ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن*"

٤ – الفلسفة تتسم بأنها ذات طابع نظرى ، فهى تطرح الفكرة أو المشكلة وقد لا تجد لها حلا ، ولذلك فهى فى أكثر الأحيان تكون عاجزة عن التأثير والتغيير ، أما الدين فإنه قادر على مخاطبة عقل الإنسان ووجدانه والتأثير فيه مما يغير فكره وسلوكه .

٥ – اعترف كثير من كبار الفلاسفة بوجود مجالات لا يستطيع العقل أن يصل إلى حقائقها ، لأنها فوق مستوى إدراكه ، كما قال بذلك "**أفلاطون**" و "**كانت**" وغيرهم ، ولذلك نجد "**الغزالى**" يرى أن كل ماقصرت عن إدراكه العقول الإنسانية .. فواجب أن نرجع فيه إلى الشرع ، ويؤيده فى ذلك "**ابن رشد**" لأن الوحى يأتى متمما لعلوم العقل .

والخلاصة فى ذلك ... أن العقل الإنسانى له حدود يقف عندها ، ولذلك يحتاج إلى نور النبوة ، وإلى العقيدة الصحيحة التى يستضيء بها ..

قال تعالى " *ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور* "

ثالثاً : فى المجال النفسى :

اذا كانت العقيدة الصحيحة هى التى تقدم للإنسان التفسير الصحيح للوجود الكونى والإنسانى ، فإنها كذلك تؤثر فى نفس الإنسان
وتعطيه شعورا بالسكينة والطمأنينة فى حالة اتصاله بالله الذى له كل شيء

" *ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين* " . .

" *الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب* "

هذا الشعور يزداد عمقا وقوة اذا استحضر المؤمن سعة الفضل الإلهى الذى يتولى به عباده المؤمنين ، فهو قريب منهم ، يسمع دعائهم و يحقق رجاءهم ، ويرحم ضعفهم ،،

قال تعالى "*وإذا سألك عبادى عنى فإني قريب*"

وهكذا يستظل المؤمن الحق فى حياته بظل العقيدة التى تجعل قلبه موصولا بالله ، فيحول الإيمان ضعفه إلى قوة وخوفه إلى أمن وحيرته
إلى سكينة وهدى ، ***ويمكن الإشارة إلى شئ من ذلك:***

١ – يتعلم المؤمن الحق من عقيدته الصحيحة أن يكون عزيز النفس ، مرفوع الرأس ، محفوظ الكرامة ، فى غير إحساس بالضعف أو
الهوان ، أو المذلة أمام الناس ، فالناس لا يملكون لغيرهم ولا لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا .

٢ – وإذا تحلى المؤمن بهذه الصفات فإنه يصل إلى ما يسمى بالتوازن النفسى إزاء نا يمكن أن يحل به من البلاء ، لأنه واثق من عدل الله وحكمته ، راض بقضائه وقدره ، لأنه يعلم أن قضاء الله خيرٌ من قضائه لنفسه ، لذلك كان الإيمان بالله والتسليم له من أصول العقيدة ..

" *كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون* " .. وقال تعالى " *ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون* " .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له "

٣ – كما أن التحلى بهذه الصفات يجعل المؤمن لا يقع فريسة للتشاؤم أو اليأس، ولكن يتجه نحو الرجاء والأمل ، وقد جاء فى القرآن الكريم الكثير من المواقف لتى تدلل على أنا القنوط واليأس يتعارضان مع مقتضيات الإيمان ... فمثلا ما جاء فى قصة يعقوب "عليه السلام" مع بنيه ، حيث لم يتسلل اليأس إلى قلبه بلا امتلأ قلبه بالأمل والرجاء ، فيقول لأبناءه" *فصبر جميل "ثم فى النهاية يقول لهم* ،،،،،،،

"ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"

وكذلك ماحدث فى غزوة الأحزاب الى اجتمعت فيها كلمة المشركين والمنافقين على حرب المسلمين ، أحاطوا بهم من كل جانب وفى النهاية ..

يقول الله "*ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما* "

وهكذا ..يقترن الإيمان بالتفاؤل والرجاء فى فضل الله .

رابعاً : فى المجال الأخلاقى :

ا – العقيدة الصحيحة لها أثر فى مجال الأخلاق ، حتى أن درجة الإلتزام تتناسب مع مكانة العقيدة فى نفس المؤمن قوة وضعفا ، ويتضح ذلك من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"

"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"

ب – بل إن التقصير فى هذه الأخلاق يعود بالضرر على صاحبه وقد يخرجه من كمال الإيمان ويدخله فى باب النفاق ، قال صلى الله عليه وسلم *" آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذ اؤتمن خان" " لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له"*

ج – وقد لاحظ "**ابن خلدون**" هذا الإرتباط بين درجة الإيمان ودرجة الأخلاق ، فكلما تأصل الإيمان فى القلب تأصلت الأخلاق ... وأصبحت راسخة فى النفس ، بحيث يكون الإنقياد لها والعنل بمقتضاها سهلا ميسورا ، " لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن"

د – وتتميز الأخلاق المنبثقة من العقيدة بمزايا عديدة :

١- تركز على يقظة الضمير وصحوة الشعور ، بحيث تكون الرقابة على الفعل رقابة ذاتية داخلية ، فنجد الإنسان لا يمتنع عن الرذائل مراعاة للخلق ، بل مراعاة للخالق جل جلاله ، وهذا يفسر لنا كيف أن بعض الناس قد يقع فى الخطأ ولا يراه أحد ، ولكنه لا يشعر بالراحة إلا اذا اعترف على نفسه مع علمه بما يمكن أن ينزل به من عقاب دنيوى كما حدث لماعز والغامدية وهذا يفسر لنا أيضا اتجاه بعض الناس الى فعل الخير فى السر لأنهم يريدون أن يكون عملهم خالصا لوجه الله .

٢ – وحين تأسس الأخلاق على مراقبة الله ، يمتد أثرها إلى علاقة صاحبها بغيره من الناس ، فتقوم أخلاق صاحبها على العدالة والرحمة والإيثار ، وهذا المستوى الرفيع من الأخلاق يؤدى إلى قلة الجرائم ، فينعم المجتمع بالأمن والطمأنينة .

- لذلك يرى بعض الباحثين الغربيين أن التوسع المادى والخروج عن الدين أخطر من الخطر الناشئ عن القنبلة الذرية .
- ومن أجل ذلك ارتفعت أصوات كثير من المصلحين بالعودة إلى الإيمان الذى هو السبيل الأمثل لحل المشكلات الخلقية والعقلية التى يواجهها الإنسان .
- وهكذا يأتى الدين ليكون دائما طوق النجاة الذى ينقذ البشرية و يخرجها من الظلمات إلى النور .

(المبحث الرابع)

توحيد الله تعالى

أ — من أدلة التوحيد :

(١) **دليل كونى :** ان كل ما فى الكون من سنن ثابتة ، وقوانين مطردة ، ونظام محكم ، يدل على وحدانية الخالق لهذا الكون ، لأنه لو اشترك فى الخلق أكثر من إله لفسد الوجود وقد استقر فى فطرة البشر أن تعدد الرئاسة للشئ الواحد يؤدى إلى تضارب الآراء فإذا كانت هذه صفات البشر الذين يتصورانقياد بعضهم لبعض ، فكيف يكون الأمر بالنسبة للألوهية التى تقتضى الكبرياء والعلو والهيمنة والقيومية ...

... قال تعالى" *لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا سلطان فسبحان الله رب العرش عما يصفون*" فالقرآن يبين أن افتراض تعدد الآلهة يؤدى إلى فساد الوجود ، لكن الوجود غير فاسد ، إذن فهذا الإفتراض فاسد ، والقول بوحدانية الإله هو الصحيح "دليل التمانع "

(٢) **دليل نفسى :** أوضح القرآن أن الإيمان بإله واحد هو الذى يستقيم مع الفطرة الإنسانية ، حيث يؤدى هذا الإعتقاد إلى استقامة الشعور ووحدة الإتجاه ، ووحدة الولاء ، فترى صاحب هذه العقيدة يُرجع الأمر كله لله ، لا يتوكل إلا عليه ، ولا يطلب حوائجه إلا منه ، أما إذا آمن بأكثر من إله ، فإنه لن يهدأ له بال ، ولن يستقر له قرار ، لأن لكل واحد منهم واجبات ومطالب ، فإذا أدى حق واحدمنهم ، قصر فى حقوق الآخرين ، وعليه .. عندئذ .. أن ينتظر السخط والعقوبة ممن وقع فى حقه التقصير .

قال تعالى" *ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله*" ..
فالآية تقارن بين رجلين أحدهما مملوك لعدد من الشركاء المتشاكسين الذين تختلف مصالحهم وأهوائهم ، وثانيهما مملوك لسيد واحد ، فهل يتساوى هذان الرجلان ؟
والإجابة البديهية أنهما لا يستويان .

إذا الإيمان بالتوحيد يؤدى إلى التوافق النفسى الذى لا تشعر النفس معه بانقسام أو انفصام ، أما الوقوع فى براثن الشرك والتعدد فإنه يذهب بالإنسان إلى الخوف والحيرة ،

قال تعالى" *ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق*"

ب — التوحيد والفطرة :

▫ والإيمان بالتوحيد مستقيم تماما مع دواعى الفطرة التى غرسها الله فى الإنسان عند خلقه له ، وقد انحاز إلى هذا الرأى كثير من أصحاب الدراسات الإنسانية والإجتماعية الذين لاحظوا وجود عقيدة التوحيد لدى بعض القبائل البدائية المنعزلة عن الحضارة ، وقد انتهت هذه الدراسات إلى أن الروح الإنسانية إذا كانت قادرة على أن تعرف الله فإنه يجب أن تكون قادرة على إدراك أنه لا يوجد إلا إله واحد ، وهذا يؤكد أن الدين البدائى الذى اعتنقه الإنسان القديم كان توحيديا وليس تعدديا .

وحتى وإن وقعت البشرية فى الشرك والتعدد فى فترات كثيرة من تاريخها إلا أنه رغم هذا التعدد فإنهم فى الوقت نفسه يعتقدون بوجود إله أعلى وأعظم ، مما يدل على أصالة عقيدة التوحيد فى النفس البشرية، ويؤكد على ذلك أيضا أن الإنسان إذا نزل به ضر أو وقع له مكروه ، لا يجد أمامه ملجأ ولا ملاذ إلا الله الواحد الأحد ..." *وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه*" .

وقد جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأله النبى .. كم من إله ؟ فقال عشرة .. فقال له النبى : فمن نعمك وكربك ودفع الأمر العظيم إذا نزل بك ؟ قال : الله .. فقال النبى : مالك من إله إلا الله .

ج – الرد على المخالفين لعقيدة التوحيد :

على الرغم من أن التوحيد هو الموافق للفطرة ، فقد انحرفت عنه البشرية فى فترات كثيرة من تاريخها ، ولذلك كانت وظيفة الأنبياء أن يقاوموا هذا الإنحراف ويعودوا بالناس إلى عقيدة التوحيد الخالصة .

وقد حدثنا القرآن عن نماذج لهذا التعدد الذى وقعت فيه الأمم قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن هؤلاء قوم نوح عليه السلام ، وقوم إبراهيم عليه السلام ، وقوم موسى عليه السلام ، وغيرهم .

▫▫▫ ***رد القرآن على بعض من يقولون بالشرك وتعدد الآلهة :***

١- رد القرآن على أهل التثليث ممن ينتسبون إلى عيسى عليه السلام ، وأوضح لهم أن عيسى قد أتى بعقيدة التوحيد التى جاء به إخوانه من الأنبياء ، كما أنكر عيسى نفسه أن يكون إلها ، ولكنه عبد الله ورسوله ..

قال تعالى" ***لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم*** " ..

وقال تعالى" ***يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنه المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد*** "

٢ – أشار القرآن إلى أن ما يتصف به عيسى من صفات لا يمكن أن تكون من صفات الألوهية ، بل إنما هى من صفات البشر ، قال تعالى" ***ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون*** "

٣ – جاء فى السنة ما يؤيد حجة القرآن ويفصلها ، وذلك فى جدال الرسول صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران ، وفيهم أنزل الله عز وجل صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، ثم كان من وصف الله تعالى لنفسه ما أمر به رسوله "***قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب*** " ..ولا يقدر على ذلك كله إلا الله .

٤ – ثم ذكر الله .. ولادة عيسى ونبوته ورفعه إلى الله ، وإنقاذه ممن أرادوا أن يمكروا به ، ثم رد على من وصفوه بالألوهية لأنه ولد من غير أب ،

فقال : " ***إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون*** " ..

ولما أصر نصارى نجران على المكابرة ، أمر الله نبيه أن يدعوهم إلى ما يسمى بالمباهلة أو الملاعنة ،

حيث قال " ***فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين*** "

فلما خشوا على أنفسهم من المباهلة استأذنوا الرسول أن يتركهم على دينهم وبائوا إلى الموادعة .

<u>*خلاصة الأمر* .. أن القرآن والسنة اهتموا كثيرا بالرد على المشركين ، وبيان أن هؤلاء الشركاء لا يستطيعون أن يجلبوا للمؤمنين بهم رزقا ولا نصرا ولا أى شئ</u> " ***واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا*** ".

المبحث الخامس

الإيمان بالوحى والكتب الإلهية

• الوحى لغة وشرعاً :

.. وردت كلمة الوحى فى اللغة بمعانٍ متعددة ، منها : الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام .

.. ولم يقتصر استعمالها فى القرآن الكريم على الوحى بمعناه الشرعى الذى يختص الله تعالى به رسله ، بل جاءت بمعنى الأمر ، والإلهام ، "يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها " .. " وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا " وقد يكون لغير الأاء نصيب من هذا الإلهام ، كما حدث مع أم موسى " وأوحينا الى أم موسى "

أما الوحى بمعاه الشرعى هو .. إعلام الله تعالى لرسله بشرعه وأمره ، على حو يصحبه اليقين بأن ذلك الإعلام وارد إليهم من قبل الله تعالى ... والوحى هنا يكون مصحوبا بالبراهين الدالة على صدق صاحب الرسالة ، ويفترق الوحى عن الخواطر النفسية والآراء والأفكار .

• صور الوحى :

الوحى له صور متعددة ، قال تعالى " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء "

أ – الصورة الأولى : اللقاء المباشر فى القلب ، وقد يكون ذلك من الله تعالى ، كحديث الله لآدم عليه السلام وتعليمه إياه لأسماء كلها ، وكحديث الله لموسى عليه السلام " قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل " ، وكحديث الله لمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج .... وقد يكون اللقاء فى القلب من القلب ، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم :"إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها "

ب – الصورة الثانية : الوحى من وراء حجاب ، مثل حديث الله لموسى عليه السلام عند اصطفائه للرسالة " فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى انا الله رب العالمين " ... و يختلف الخطاب هنا عن الصورة السابقة لأنه هنا لم يكن له علم بالنبوة ، فجاءه الخطاب مباغتا ، أما الصورة السابقة فإن تكليم الله تعالى قد خلى من المفاجأة لأنه كان على علم بالنبوة وعلى موعد وميقات حدده الله تعالى لمكالمته .

ج – الصورة الثالثة : أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ، حيث ينزل الملك الى الرسل بالوحى ، ومن ذلك قوله تعالى

"نزل به الروح الأمين" ،

وقد يأتى ذلك على صورة واحدة وقد يأتى على صور متعددة .

د – الصورة الرابعة : الرؤيا الصادقة ... وهذه الصورة من صور الوحى كانت أول ما بدء به الرسول من الوحى كما تقول السيدة عائشة رضى الله عنها ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاء مثل فلق الصبح ، ومن هذه الرؤى الصادقة ما رآه وهو فى المدينة بعد الهجرة بدخول المسجد الحرام ومعه الصحابة ، وقد حدث مثل ذلك لبعض الأنبياء السابقين ، ومنهم ابراهيم عليه السلام حينما أمره الله فى المنام أن يذبح ولده .

• الإيمان بالكتب الإلهية :

يفترق المسلمون عن غيرهم من الأمم السابقة بأنهم مطالبون بالإيمان بجميع ما انزل الله تعالى على جميع الأنبياء السابقين .. ويتضمن هذا الإيمان

أمرين .. هما :

أ – الأيمان بما ذكره الله تعالى من هذه الكتب على وجه التعيين والتحديد .. مثل : صحف إبراهيم ، وتوراة موسى ، وكتاب داوود ، وإنجيل عيسى ، والقرآن الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

ب – الإيمان العام بكل ما أنزله الله تعالى على أنبياءه ورسله ، لأن كتب الله تعالى ليست محصورة فى هذه الكتب السابقة ، بل هى أكثر من ذلك بكثير ، وفى هذا يقول الله تعالى " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله "

... وهذه الكتب كلها فى الأصل مصدرها إلى الله تعالى " وحدة المصدر "

... وهدفها هداية البشرية إلى ما فيه صلاحها " وحدة الغاية "

وترتب على وحدة المصدر والغاية أن هذه الكتب اتفقت فى أصول العقيدة ، ومن أهم الأصول التى اتفقت عليها الكتب :-

- <u>القرآن كلام الدعوة الى توحيد الله وافراده بالعبادة</u> " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون "
- <u>الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر</u> " يوم هم بارزون لا تخفى على الله منهم شيئ "

الهداية العامة الى خير الدين والدنيا ، قال تعالى فى وصف التوراة " ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شيئ وهدئ ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون "

وفى وصف الإنجيل " ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون " ... فى وصف القرآن الكريم " كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد "

• القرآن كلام الله تعالى ووحيه :

القرآن كلام الله عز وجل ، وليس للنبى صلى الله عليه وسلم إلا التلقى عن الله وإبلاغه الى الناس كما نزل عليه ، وقد عنى القرآن الكريم نفسه ببيان هذه الحقيقة والبرهنة عليها والرد على مخالفها ، قال تعالى :" وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاؤوا ظلما أو زورا"

ورد القرآن على المشركين وبين لهم أن الرسول لم يكن قارئا للكتب، " وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون " .....وقال " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربئ مبين " .. وتدل هذه الآية الأخيرة ان العلوم الموجودة فى القرآن كثيرة ، وهى لا تتأتى لصاحبها إلا إذا كان على غاية من العلم والإحاطة.

كثير من المستشرقين حاولوا التأكيد على بشرية القرآن ، مثل " جولد زيهر" غير أن نصوص القرآن وأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم تنفى هذه الدعوى وتؤكد أنه وحى من الله لرسول .. ويدل على ذلك أدلة كثيرة ، منها

ا ـ يتحدث القرآن عن الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه عبد الله ورسوله وأنه خاضع لأمر الله وشرعه ، لا يملك له ردا ولا رفضا ، وأنه لا يعلم الغيب إذ لا يعلم الغيب إلا الله ، " قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى " .. " قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله " .. " ليس لك من الأمر شئ أ يتوب عليهم أ يعذبهم فإنهم ظالمون "

ب ـ أسباب نزول بعض الآيات يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يسأل أحيانا عن الحكم فى بعض الوقائع ، فيجيب بأنه لا يعلم من أمرها شئ وأنه ينتظر الإجابة من الله عز وجل ، ومن أمثلة ذلك ما جاء فى تشريع حكم اللعان ، وكذلك فى حادثة الإفك.

ج ـ بعض الوقائع فى القرآن جاء الحكم فيها مخالفا لاجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم مثل موقفه من أسرى بدر حين قبل منهم الفداء عملا بمشورة بعض أصحابه ثم نزل القرآن بحكم آخر ، وموقفه من عبدالله بن أم مكتوم ، والمواقف كثيرة ...

د ـ كذلك إعجاز القرآن بأن ورد فيه أخبار الأمم الماضية التى لم يكن للرسول ولا لقومه علم بها لأنها أخبار أمم بعيدة عنهم ، "تلك من أنباء الغيب نوحى إليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العـــــاقبة للمتقين " .

ولا يمكن تفسير العلم بهذه الأخبار بأنه من أثر الخيال ، لأن الخيال لا يستطيع أن يكشف عن حوادث الماضى بهذه الدقة والتفصيلات التى وردت فى القرآن ، كما لا يمكن تفسير العلم بهذه الأخبار بأنه من أثر العلم بكتب أهل الكتاب ، لأن بعض الأحداث التى وردت فى القرآن لا تتفق مع ما ورد بشأنها فى التوراة والإنجيل ، فمثلا

- تذكر التوراة أن الارض ملعونة بسبب خطيئة آدم ، ولا يتحدث القرآن عن لعنة الأرض .
- تذكر التوراة أن الحية أغرت حواء بالأكل من الشجرة المحرمة ، ولا يرد فى القرآن شئ عن إغراء الحية لحواء .

- تذكر التوراة أن امرأة نوح وأبناءه كانوا معه فى السفينة ، بينما يتحدث القرآن أن امـرأته وأحد أبناءه لم يكونا معه بسبب إصرارهم على الكفر .
- تذكر التوراة أن إبراهيم ذبح عجلا للرجال الذين جاءوه فأكلوا منه ،بينما يذكر القرآن أن أيدى هؤلاء لم تصل للطعام .

هـ ـ كذلك من جوانب إعجاز القرآن ما يتعلق بالغيب المستقبلى ، حيث ذكر القرآن معجزات تحققت ، مثل : بشارة الله للنبى وللمسلمين بأن يدخلوا لمسجد الحرام وبأن يعجل لهم دخول مكة فاتحين ، " فعلم ما لم تعلموا غعجل من دون ذلك فتحا قريبا "

و ـ كذلك من وجوه الإعجاز تحدى القرآن للعرب باللغة ، والإتيان بمثل القرآن أو بعشر سور من مثله أو حتى بسورة واحدة ، وهم فرسان الفصاحة .

كل ماسبق يدل على أن القرآن ليس من كلام البشر ، بل هو تنزيل من حكيم حميد .

• نظرة على الكتب السابقة :

كما طلب الإسلام من أتباعه الإيمان بكل الكتب التى أنزلها الله ، فإنه أيضا أعلمهم أنه لم يبق شئ من هذه الكتب محفوظا كما نزل إلا القرآن الكريم ، فكل الكتب الأخرى لحقها التحريف والتبديل ، وينطبق على هذا التوراةوالإنجيل

بعض ما يتعلق بالتوراة :

التوراة هى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم .. التكوين والخروج وسفر اللاوين والعدد والتثنية ، وتنسب التوراة إلى موس عليه السلام ، إلا أنه لا يمكن نسبتها نسبة تامة إلى موسى لأسباب كثير ، منها ما يتعلق بالسند ومنها ما يتعلق بالمتن :ـ

أولا: ما يتعلق بالسند.

أ – فى هذه الأسفار مايدل على وجود فجوة تاريخية كبيرة وانقطاع فى السند بينها وبين موسى عليه السلام ، فقد جاء فيها عن موت موسى ودفنه،وهذا دليل أن موسى ليس هو كاتب التوراة .

ب – تدل بعض الدراسات المتعلقة بتاريخ العهد القديم أن أقدم أجزائه كتب بعد( ) سنة من وفاة موسى " التكوين والخروج " وبعضها مثل " التثنية " كتب بعد ٧٠٠ سنة من وفاته ، أما " العدد والتكوين " فقد كتبا بعد وفاته بحوالى ١٠٠٠ سنة ، مما يعنى أن الإعتماد كان على الرواية الشفهية التى تتيح مجالا واسعا للتعديل والتبديل زيادةً ونقصانا .

ج – ومما زاد الأمر خطورة أن بنى إسرائيل لم يعتصموا بالتوراة وارتدوا عنها وكفروا بها ، بل وأحرقوها .

د – يزعم اليهود أن عزرا قام بعد موسى بمئات السنين وكتب التوراة من حفظه ، وكان ذلك سببا فى انتشارها ، ثم لم يقم كاتب واحد بكتابة التوراة ، بل

تولى عدد كبير كتابتها ممن كانوا ينتسبون إلى عصور مختلفة ، وقد كان هذا يترك أثره فيما يكتبون .

ثانيا : مايتعلق بالمتن :

١ – لا يوجد نص واحد للتوراه ، بل نصوص ثلاثة ... العبرى واليونانى والسامرى ، وبينهم اختلافات كثيرة نتيجة الفترات التاريخية وكثرة الكتابة والنسخ واختلاف الترجمات .

٢ – ذكر بعض الدارسين لنص العهد القديم أنه من البداية لم يكن هناك نص واحد ، بل تعددت النصوص ، وقد بذلت محاولات لتوحيد النص فى القرن الأول قبل الميلاد ، أى بعد موسى بأكثر من ١٤٠٠ عام .

ثالثا : تحريف التوراة :

المضمون ... وصل التحريف فى التوراة إلى صلب العقيدة التى جاء بها موسى ، ويدل على ذلك ..

أ – ما ذكر فى التوراة من حديث عن الله تعالى بشكل يتنافى كثيرا مع ما يجب لله تعالى من التعظيم والإجلال والتنزيه عن كل ما لا يليق بكماله ، حيث وصفوه بأنه يستريح يوم السبت ، كما وصفوه بأنه يجهل مكان آدم وحواء فى الجنة، حتى أنه اضطر أن ينادى عليهما حتى يعرف مكانهما، كما ذكروا أن الله ندم بعد خلقة آدم بسب الصراع الذى وقع بين قابيل وهابيل ، وكثرة شرور الأنسان فى الأرض ، كما وصفوه بأنه تصارع مع يعقوب ، وذكروا أنه أوحى لموسى أن تقوم نساء بنى اسرائيل فى مصر بسرقة حلى وذهب النساء المصريات ، ووصفوه بأوصاف كثيرة يكفى وصفا واحدا منها ليقطع بتحريف التوراة .

ب – وإذا كان هذا حديثهم عن الألوهية ، فإن حديثهم عن الأنبياء لا يقل سقوطا وشناعة وتطاولا ، فقد وصفوهم بأقبح الصفات .

= وصفوا نوحا بأنه سكر حتى فقد وعيه وانكشفت عورته حتى رآه أحد أبناءه .

= ذكروا أن إبراهيم قال لزوجته سارة أن تقول للمصريين أنها أخته لكى لا يقتلوه ، فلما فعلت ذلك تزوجها فرعون وأعطى لإبراهيم غنما وبقرا وحميرا وعبيدا ، فغضب الرب لذلك ، وأنزل بفرعون عذابا وبلاءً .

= ذكروا أن لوطا تآمرت عليه ابنتاه فسقياه خمرا ، فضاجعهما وحملت كلتاهما منه ، وولدتا ذكرين حتى لا ينقطع نسل أبيهما.

المبحث السابع

الاستشراق

أولا : تعريف الاستشراق :

أ – تعريف المستشرق الألمانى " رودى بارت " : علم يختص بدراسة فقه اللغة خاصة ، ولكن هذا التعريف حصر الإستشراق فى الدرسات المتعلقة بفقه اللغة خاصة ، فى حين أن الإستشراق قام بدراسات عن الأديان والأفكار والتاريخ والتنظيم والعادات والجوانب الأجتماعية ، فضلا عن الدراسات اللغوية والأدبية .

ب – تعريف موسوعة " لاروس " الفرنسية للمستشرق بأنه : العالم المتمكن من معرفة الشرق ولغاته وآدابه ، وهذا التعريف كسابقه يركزعلى بعض الجوانب دون بعض .

ج – تعريف " إدوارد سعيد " وهو من أهم التعريفات ، حيث ذكر أن الإستشراق له ثلاث معانٍ :

الأول\ ذو طابع أكاديمى ، وهو ينطبق على دراسة الشرق أو الكتابة عنه أو البحث فيه .

الثانى\ أوسع نطاقا ، فهو لا ينحصر فى الدراسات الجامعية الأكاديمية ، بل يتسع لكل فكر وإبداع أو وصف للشرق .

الثالث\ ذو طابه سياسى أو أيدولوجى ، حيث يتحول فيه البحث الإستشراقى من بحث علمى خالص إلى أسلوب غريب للسيطرة على الشرق والسيادة عليه.

ويعنى ذلك أن يقوم الإستشراق ببناء صورة أخرى للشرق على النحو الذى يتفق مع الغقلية الغربية حتى وإن كانت هذه الصور لا تتفق مع صورة الشرق من الناحية الواقعية .

.... إذا نخلص من ذلك الى تعريف الإستشراق بأنه : البحث العلمى الذى يكتبه باحثون غربيون غير مسلمين عن الإسلام والشرق الإسلامى ، وهذا التعريف يشمل كل جواتب الدراسات الإستشراقية المتعلقة باللغة والأدب والحضارة والتااريخ والعقيدة ، إلى غير ذلك من التخصصات التى يتسع لها الشرق الإسلامى أو الإسلام .

ثانيا : تاريخ نشأة الإستشراق :-

اختلف الدارسون فى تحديد تاريخ ظهور الإستشراق ...

أ – القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر للميلاد : حيث ذهب بابا الكنيسة الكاثوليكية بروما إلى أسبانيا التى كانت تحت حكم الإسلام فى ذلك الوقت ، وتعلم فيها ، وارتقى فى مناصب الكنيسة حتى أصبح راعى الكنيسة الكاثوليكية فى روما وأمر بإنشاء مدرستين عربيتين بروما وفرنسا .

ب – القرن الثانى عشر للميلاد وما بعده : حيث ظهرت شخصيات كان لها إسهام كبير فى ظهور الإستشراق ...

١)) روجر بيكون : حيث نهل من معين الثقافة العربية ، ودعا إلى ترجمة كتبها والإفادة مما فيها من علوم ومعارف ، وكان يوصف بأنه أمير الفكر فى العصورالوسطى ، وكان ممن أسهموا فى بناء علم الإستشراق .

...ذكر " بيكون " فى وثيقته التى عرضها على البابا فى روما أن عدد المسيحيين فى العالم قليل بالنسبة لغيرهم من أتباع الأديان الأخرى بسبب تقصيرالمسيحيين فى التبشير بدينهم ، ويرى أن الحروب العسكرية ليست هى الوسيلة المثلى لنشر المسيحية ، بل ان الدعوة السلمية أعظم منها وأكثر فائدة ، ولكى يتحقق ذلك لابد من المعرفة بلغات الشعوب المراد التبشير فيها .

ودعا إلى إنشاء علم جديد يعمل هلى استخدام الفلسفة الدينية فى مواجهة أعداء المسيحية وخاصة الإسلام ... وهذا العلم الجديد الذى دعا إلى انـشائه هـوعلم الإستشراق الذى كات يحمل منذ اللحظات الأولى لميلاده هذه الغاية التبشيرية الواضحة .

٢)) ريموند ليل : كان أكثر نشاطا لنصرة المسيحية ، وكانت أمنيته الكبرى هى إدخال المسلمين فيها ، وقام بنشاط تبشيرى فى شمال أفريقيا وخاصة فى تونس ..

وكان من أهم جهوده فى نشأة الإستشراق أنه قدم اقتراحا الى المجمع الكنسى الذى عقد فى فيينا ، يطلب فيه إدخال الدراسات الشرقية فى عدد من الجامعات الأوروبية وقوبل اقتراحه بالموافقة .

ثالثا : أهداف الإستشراق :

١ – الهدف العلمى : ويتضمن مجالات متعددة من بينها :

(أ) أرادوا أن يفـهموا أصول الحضارة الغربية عن طريق فهم الـشرق الذى شهد مبعث الديانة النصرانية ، وهذا يتطلب منهم فهم أصولهم الدينية ذات الأصول الشرقية ، كما أن فهم أصول الحضارة الغربية يتطلب فهم روافدها العربية التى انتقلت عن طريق الترجمة إلى اللغة اللاتينية التى كانت لغة أوروبا فى عصورها الوسطى .

(ب) فهم الشرق ذاته ، بوصفه غاية ، لا مجرد وسيلة لفهم الغرب ، لأن اتصال أوروبا بالشرق عن طريق التجارة والحروب والترجمة والإستعمار كشف لهاعن حضارته المتميزة ... وأحس علماء الغرب أن الشرق هو مهد الحضارات .

ـــ ولكى يتحقق هذا الفهم للشرق والإسلام وحضارته ، جاء الإهتمام باللغة العربية التى أخذ الإهتمام بها حيزا كبيرا من جهود المستشرقين ، فقاموا بوضع المعاجم اللغوية ، والمعاجم المفهرسة ، وترجموا كثير من الكتب العربية .

وربما كان أصحاب هذا الهدف العلمى أقل عددا من سواهم من ذوى الأهداف الأخرى،وإن كانوا وقعوا فى بعض الأخطاء بسبب عجزهم عن فهم أسراراللغة العربية ، فإن اللوم لا يكون على العجز ، بل على الإدعاء والتعمد وسوء القصد ، وليس من خلق الإسلام أن نساوى بين ذوى الغايات والمقاصد المختلفة والله تعالى يقول " **ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن تعدلوا ،، اعدلوا هو أقرب للتقوى** "

٢ – الهدف الدينى :

وهو من أهم أهداف الإستشراق ، حيث أصبح الإستشراق وسيلة من الوسائل التى استعانت بها النصرانية والكنيسة فى صراعها مع الإسلام .

وطوال قرنين من الزمان جندت أوروبا جيوشا جرارة ، ودفعت أموالا باهظة من أجل الهيمنة على المسلمين ، فلما فشلت الحروب العسكرية ، لجأت إلى التنصير كما لجأت إلى الإستشراق ، فكلاهما يهدف الى نفس الأهداف والغايات ، بدليل أن أكبر الدعاة إلى تأسيس الإستشراق كانوا من أكبر الدعاة إلى التنصيرأيضا ، مثل : "روجر بيكون" و "ريموند ليل" ، حتى أن من ضمن المناهج التى كانت تدرس فى بعض الكليات المعتية بالتنصير ،،، الردود على الإسلام بدراسة كتب المستشرقين ...... وورث الإستشراق من الكنيسة الشعور بالكراهية للإسلام :ـ

[أ] ففى حديثهم عن القرآن ، أنكروا أنه وحى ، وقالوا أنه كلام بشرى يرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن محمدا رجل عبقرى ، وأنه قد تأثر بما تعلمه من اليهود والنصارى ، وزعموا أن محمدا يقوم بتغيير التشريع حسب الظروف ، ووصفوا القرآن بأنه لا يحمل منهجا عقليا وأنه يرفض كل بناء عقلى ، كما شككوا فى مسألة جمع القرآن .

[ب] أما الحديث النبوى فقد نال أيضا حظه منهم ، حيث قالوا أنه ليس من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه من وضع الفقهاء الذين أرادوا أن يجدوا سندا لاجتهاداتهم الفقهية ، وما أرادوا بهذا التشكيك إلا هدم الإسلام والقضاء عليه .

[ج] وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ناله نصيب وافٍ من الإتهامات الباطلة والتطاول الفاحش على مقامه الكريم ، وكان من جملة ما قيل عنه وحاشاه :

- أنه تعلم القرآن من بحيرا الراهب واتفق معه على تضليل العرب .

- أنه من اختلق الوحى والقرآن .
- أنه كان يطمع فى مقعد البابا فى روما ، فلما خذله النصارى ذهب إلى مكة وادعى النبوة مبشرا بدين جديد مضاد للمسيحية .
- أنه كان مصابا بالصرع ومس الشيطان .. إلى آخر ذلك من اتهامات باطلة تعبر عن أحقاد غائرة فى نفوس كاتبيها .

٣ – الهدف السياسى :

ويمكن تقسيم ما أسهم به المستشرقون فى هذا الجانب إلى ثلاثة مراحل :

١ – مرحلة ما قبل الإستعمار : وهى مرحلة التمهيد والتخطيط للإستعمار ، وفيها تستعين الدول الإستعمارية بكل الأفكار والمعلومات التى يقدمها المستشرقون لكى تحدد أهدافها وتتعرف على المشكلات التى قد تواجهها وتحدد مواطن القوة والضعف فى البلاد التى تسعى إلى استعمارها ، ويتضح ذلك فى الحملة الفرنسية على مصر ، على سبيل المثال ، فقد استعان نابليون بأفكار المستشرقين واصطحب معه بعضهم ، وحدد نابليون ما يمكن أن يقوم به بناءً على هذه المعلومات .. حيث كان يعرف أهمية الدين عند المصريين ، فاهتم بدراسة الإسلام وأصدر مرسوما للمصريين يخبرهم فيه أنه يحترم الإسلام ونبيه ، وأن الفرنسيين جاءواليخلصوهم من ظلم المماليك .

حاول استغلال عقيدة القضاء والقدر ليفهم المصريين أنه جاء إليهم لتنفيذ قدر إلهى لا يُرد ، وأن من يقف فى وجهه معارض لمقادير الله تعالى ... وارتدى الملابس التركية التى كان يلبسها العلماء محاولا بذلك التقرب من المصريين .

٢ – عند الإستعمار : فى المرحلة الثانية يأتى دور المستشرقين أيضا فى تثبيت الإستعمار ومعاونته على توطيد أركانه ، وذلك بإمداد الددول الإستعمارية بالمعلومات والنصائح ،، وأبرز مثال على هذا التوع من التعاون يتمثل فى المستشرق الهولندى "سنوك هور" الذى ساهم فى خدمة الإستعمار، حيث تظاهر بالإسلام ، وسمى نفسه " عبد الغفار " وذهب إلى مكة ، وأمضى بها ستة أشهر كاملة ، جلس فيها مع العلماء ، ثم سافر إلى أندونيسيا وتزوج من ابنة أحد الأمراء المسلمين بها ثم رجع إلى هولندا وتقلد مناصب قيادية فيها، وساهم فى رسم سياسة حكومته تجاه المسلمين فى أندونيسيا ، وكان مما اقترحه عليها ..أن تقوم بتدمير العلماء المسلمين الذين يقاومون الإستعمار ، والعمل على إيجاد أحزاب أو تيارات قومية ويسارية تصارع بعضها بعضا .

.. أيضا قام بعض المستشرقين بدراسات بقصد إضفاء المشروعية على الإستعمار ، وتصديره على أنه عمل حضارى يهدف إلى الإرتقاء بهذه الشعوب المتخلفة

٣ – مرحلة ما بعد الإستعمار : فى هذه المرحلة تعمل الدول المستعمرة على استمرار علاقتها بالبلاد التى تستعمرها حتى لو اضطرتالى الخروج منها ، وذلك لتحقيق مصالحها فى المجالات السياسية والإقتصادية وغيرها ... ثم يقومون بالترويج لبعض الأفكار القائمة على التبعية والداعية إلى قبول القيم الغربية .

وعلى سبيل المثال : كان الهجوم على اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى إحلال اللغة العامية محلها من الدعوات التى ظهرت لدى بعض العرب فى العصر الحديث ، وأيضا ماظهر بعد ذلك من آراء حول القومية والوطنية وتحرير المرأة ... إلخ .

كل هذه الموضوعات نوقشت فى البيئة الإستشراقية أولا ثم انتقلت إلى العالم الإسلامى .

